



جامعة تكريت/ كلية التربية للعلوم الإنسانية

قسم اللغة العربية

المرحلة: الثالثة

مادة: النقد العربي القديم

المحاضرة الثالثة:

أثر الرواية والتدوين في الحركة النقدية

مدرس المادة: م.د. محمد صلاح شجاع

أثر الرواية والتدوين في الحركة النقدية :

إن لفظ الدعوة الإسلامية مصطلح إسلامي يُطلق على ما دعا إليه الرسول الكريم ، وهو دخول دين الإسلام من قوله جل من قائل: ﴿ ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ ﴾ [النحل : ١٢٥] والرسول ﷺ هو الداعي (يَأْيُهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ، وَسِرَاجًا مُنِيرًا) [الأحزاب: ٤٥ - ٤٦]. وشعر الدعوة هو الشعر الذي دعا فيه الشعراء المسلمون المشركين إلى ترك عبادة الأصنام، والدخول في دين الله. وكان من الطبيعي أن نجد أشعاراً لكفار قريش أو لكفار القبائل العربية الأخرى يذكر فيها أصنامهم وآلهتهم ويردون فيها على المسلمين، إلا أن هذه الأشعار قد ضاعت، ولم تصل إلينا مع ما ضاع من أشعار للأسباب التي ذكرناها سابقاً.

أما أشعار المسلمين في الدعوة فإنها تظهر عند بعضهم في إعلانه تبرئته من عبادة الأصنام، وتسفيه آراء قومه فيها. وهي مقطوعات قالها أصحابها حين أعلنوا إسلامهم، وتبرأوا مما كانوا يعبدونه.

أ التبرئة من عبادة الأصنام وإعلان الإسلام : ومثل هذه الأشعار لم تتجاوز الأبيات المفردة التي تكاد أن تكون رسالة مباشرة وقصيرة موجهة إلى أبناء قبيلة الشاعر ، أو معلنة اعلاناً عاماً ليبلغ به الرسول أو أبناء قبيلته معاً ، وهي غالباً أبيات خالية من الصنعة الفنية، أو من العاطفة التي نجدها في الأغراض والمعاني الأخرى، إلا أنها من ناحية أخرى تقدم صورة لطبيعة الحياة الدينية التي كان الجاهليون يحيونها من خلال رفض الشعراء عبادة ما كان آباؤهم يعبدونه. فهذا ذباب بن الحارث السعدي التميمي أسلم، وحطم صنم قومه، وأعلن ذلك شعراً بقوله : تبعت رسول الله إذ جاء بالهدى وخلفت فراضاً بدار هوان وفراض هذا الذي ذكره هو صنم بني سعد من تميم كسره الشاعر بعد إيمانه:

شددت عليه شدة فتركته

كأن لم يكن والدهر ذو حدثان

ويذكر شاعر آخر من بني طي وهو مازن بن الغضوية وثنا اسمه (باجر) كان لقومه، وكان هو سادنه وكسره بعد أن أعلن اسلامه وتبرأته منه :

كسرت باجر (أجذاذاً وكان لنا ربا نطيف به ضلا بتضلال

فالهاشمي هداًنا من ضلالتنا ولم يكن دينه مني على بال

الشاعر هنا يشير الى تحطيمه ما كان يعبدّه ويطوف حوله، ليؤكد أن عبادته له كانت ضلالة وذكر الشاعر خزاعي بن عبد نهم المزني شعيرة أخرى من شعائر الجاهليين في عبادة الأوثان، وهي ذبحهم القرابين عندها. وقد أعلن أنه ذهب يوماً ليدبح عند صنمه (نهم) فتساءل مع نفسه السؤال الذي أثاره فيهم الإسلام، وهو لماذا الذبائح عند الحجارة الصم التي لا تسمع ولا تضر ولا تنفع فقال :

ذهبت إلى نهم لأذبح عنده عتيرة نسك كالذي كنتُ أفعل

أهذا إله أبكم ليس يعقل؟ إله السماء الماجد المتفضل

ويدعو شاعر آخر قومه إلى ترك عبادة اللات، لأنها حجارة لا تستطيع ان تدفع الأذى عن نفسها، فكيف تستطيع أن تتصر من يعبدها.

ب محاجة المشركين :

يقول بجير بن زهير، وهو أخو كعب بن زهير الذي أسلم قبل أخيه ودفعه حبه لأخيه إلى إرسال الأشعار والرسائل إليه يدعوه فيها الى الإيمان بالدين الإسلامي فيقول في إحدى قصائده مخاطباً كعباً قبل ان يسلم يدعوه الى توحيد الله لينجو من عذابه يوم القيامة :

إلى الله لا العزى ولا اللات وحدها

فتتجو إذا كان النجاء وتندم

لدى يوم لا ينجو وليس بمفلت

من النار إلا طاهر القلب مسلم

ويقول نوفل بن الحارث معلناً تبرأته من دين شيوخه الكافرين معلناً إسلامه وثباته على دينه، وأن النبي محمد الله هو رسول أتى بالهدى من الله وأنه ليس بشاعر كما يتهمة الكافرون المعاندون، وأنه مؤمن بالبعث والنشور لعمر ك ما ديني بشيء أبيعه وما أنا إذ أسلمت يوماً بكافر شهدت على أنّ النبي محمداً أتى بالهدى من ربه والبصائر وأنّ رسول الله يدعو إلى التقى وأنّ رسول الله ليس بشاعر على ذاك أحيا ثم أبعث موقناً

وأثوي عليه ميتا في المقابر ويسلم الشاعر الطفيل بن عمرو الدوسي فتهدده قريش، وتتوعده بالقتل، فلا يتراجع وإنما يعلن إسلامه بأبيات من الشعر يرسلها إليهم :-

ألا أبلغ لديك بني لؤي

على الشنآن والغضب المرد

وهناك أشعار كثيرة وردت خلال قصائد الشعراء المسلمين حين يردون على شعراء المشركين، أو حين يذكرون الوقائع والفتوحات، فيصفون انتصار المسلمين وإيمانهم والتفافهم حول الرسول الكريم ، ويفخرون بإسلامهم وتوحيدهم الله عز وجل، لم نشأ أن نقتطع منها تلك الأبيات لنكتفي بالمقطوعات التي قالها اصحابها ليعلموا إسلامهم وتوحيدهم الله تعالى.

ومما يتعلق بشعر الدعوة الى توحيد الله تلك الأبيات والقصائد التي قيلت في حروب الردة يناقش فيها الشعراء المسلمون المرتدين ويدعونهم إلى التعقل، وعدم الخروج على دين الله، وإذا كان المرتدون قد قالوا هم أيضا أشعارا كثيرة في هذا الشأن، فإن أشعار الجانبين أصابها الضياع والفقدان، نظراً للحروب الطاحنة التي شهدتها الأمة أيام حروب الردة من جهة، ولتخرج المسلمين من رواية الأشعار التي أعلن فيها المرتدون كفرهم، أو تراجعهم عن الإيمان بالدين الإسلامي.

إن ما وصل إلينا من هذا الشعر لا يتجاوز الأبيات والمقطوعات، ولعل لضراوة تلك الحروب أثراً كبيراً في انصراف الناس إلى القتال مرددين ما يقتضيه الموقف من أبيات قلائل، لأن طول القصائد يحتاج إلى نفس طويل، وإلى فترة زمنية يعاود فيها الشاعر أفكاره وتأملاته، أما وهو في خضم تلك الحروب التي كانت تشكل للمسلمين مسألة البقاء أو الموت، البقاء للعقيدة، أو الفناء في سبيلها، فشغلهم الشاغل الاشتراك في ردع المرتدين وقتالهم.

ج مناقشة المرتدين

إن الشعر الذي قيل في حروب الردة يسجل أكثر من ملاحظة، منها قلة هذا الشعر ، وكون معظمه مجرد نظم لا يرقى إلى مستوى الشعر الجيد، ويبدو عليه الافتعال في نظم معان لا تمثل ظروفها ، ولا قوة الحرب الطاحنة بين المسلمين والمرتدين تلك الحروب التي لا تقل عن الحرب مع مشركي قريش أيام الدعوة

الإسلامية. كما أن كثيراً من هذا الشعر مفتعل خال من العاطفة الدينية، أو حتى العاطفة القبلية، كما كثر فيه الشعر غير المنسوب، وهي ملاحظة يمكن أن تكون مقبولة لشدة انشغال المسلمين بالوقائع دون رواية الشعر وتوثيقه. ونجد في بعض الأبيات القلائل التي صدرت عن قائلها في لحظات سريعة ومضات مشرقة تصور ثبات العقيدة في نفوس المسلمين ودفاعهم عنها.

فقد ذكر أن عبد الله بن مالك الأرحبي وقف ناصحاً قومه بني حمدان حين أعلنوا ردتهم، ليعيد إليهم ثبات العقيدة منطلقاً من الآية الكريمة ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ﴾ [آل عمران : ١٤٤]. وكان هذا الصحابي الجليل قد خاطب قومه قبل أن ينشدهم البيت بقوله: " يا معشر حمدان إنكم لم تعبدوا محمداً، وإنما عبدتم رب محمد (وهو حي لا يموت. ويتألم شاعر آخر فينفث نفثة حسرة وهو يرى قبيلته مرتدة تتبع دعوة الدجال طلحة الكذاب فيقول :

لهفي على أسد أضل سبيلهم

بعد النبي طليحة الكذاب

د البراءة من المشركين :

يقول ضيف بن عمر في يوم القيامة - وهو من أيام حروب الردة - ذاكراً قتل أحد زعماء المرتدين، وهو محكم بن طفيل، معلناً بأن دينه دين الرسول (صل الله عليه وسلم) وأنه موحد يتمنى أن يموت وهو ثابت اليقين والايمان بتوحيد الله:

أهلك القوم محكم بن طفيل

إنها يا سعاد من حدث الدهر

وهناك بعض المقطوعات التي أعلن فيها أصحابها توبتهم وعودتهم إلي الإسلام، وهي أشعار قليلة نظراً لكثرة القتلى في تلك الحروب الطاحنة بين المسلمين والمرتدين، يقول جندب بن سلمى :

قدمت وأيقنت الغداة بأنني

شهدت بأن الله لا شيء غيره

ويلاحظ أن معظم هذه الأشعار لا تتجاوز الأبيات المفردة، أو المقطوعات القصار وأصحابها لا يمكن أن يدرجوا ضمن الشعراء قدر كونهم مصورين المواقف اقتضاها الثبات على العقيدة والدين، ويمكن أن يشكلوا معشعراء الدعوة صورة لغرض جديد عرفه الشعر العربي صدر الآلام، وهو غرض العقيدة والثبات على الدين. ولن نطيل الوقوف في شعر الدعوة، لأن دراسة شعر حسان وعبد الله بن رواحة هي خير صورة لهذا الشعر ومواكبته الأحداث وتفاعله مع تغيرات العصر ومتطلباته فكراً ولغة وأسلوباً.